

رسائل رمضان

قدم لها

فضيلة الشيخ أبي زيد حمد العنبي

- حفظه الرب العلي -

كتبها

أبو أويس رشيد بن أحمد الإدريسي الحسني

- عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي -

رسائل رمضان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

{ 1438 هـ - 2017 م }

مطبعة المجد

تجربة المجد - رقم {35} - طريق القنيطرة - سلا / المغرب

نرقية دولية ISBN

978-9954-28-777-4

رقم الإيداع 2017M02470

رسائل رمضانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم فضيلة الشيخ أبي زيد حمد العتيبي - حفظه الرب العلي -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فاعلموا - أحبتي الكرام - أن الوعظ مقام رفيع، وهو صنو التعليم؛ بل هما متآخيان كالروح والبدن؛ باجتماعهما تتحقق الحياة.

فالفقه: معرفة النفس مالها وما عليها من الحقوق والواجبات، وأدائها لها - امتثالاً -.

((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)). (متفق عليه).

فليس الفقيه من يعرف الحلال والحرام معرفة مجردة عن العمل؛ بل الفقيه من يخشى الله - تعالى -.

وخشية الله - تعالى - تنشأ بالتعلم، وتنمو بالوعظ.

فالعلم مادة لإجادة، والوعظ مادة غنائها.

وحقيقة الموعظة الشرعية - كما يقول "السعدي" - رحمه الله -: "معرفة الحق بدليله مقرونا

بالتغريب والترهيب".

فالخطاب الوعظي؛

- ليس خطاباً عاطفياً لتحريك المشاعر بلا غاية.

- وليس سرداً قصصياً لمجرد الفكاهة.

- وليس خطاب مؤانسة بين الخلان لقضاء الأوقات.

بل هو فقه مخاطبة القلوب لتصل إلى خالقها - دلالة على الطريق الموصلة إليه مقرونة

بالبشارة والندارة -.

ومقام الموعظة:

- من أشرف مقامات الكلام وقد وصف الله - تعالى - نفسه به، فقال: {يَعْظُمُ اللَّهُ}.

[سورة النور: الآية (17)].

- ومن أرفع وظائف النبي ﷺ فكانت موعظته ((مَوْعِظَةٌ وَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ)) ... "كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ". (رواه أبو داود والترمذي وقال: "حديث حسن صحيح").

- ومن أخص أوصاف الربانيين؛ لأنهم يعلمون الناس الحق بأمثل الطرق التي تحملهم على الانقياد وتزجرهم عن العصيان.

وخاصية (الموعظة الحسنة) أنها مخاطبة القلب -ترغيباً وترهيباً- بالعلم؛ فإذا تجرد الخطاب عن لغة العلم أو لم يوجه -أصالة- إلى القلب لم يكن موعظة حسنة، كما قال -تعالى-: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ} الآية. [سورة الشعراء: الآيتان (193-194)].

"معنى ذلك أن الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه". (أضواء البيان).

فإذا كمل نصاب الموعظة وتمت أركانها؛ كانت كالغيث الذي يحيي الأرض بعد موتها، وكالشمس التي تنير الأرض بعد ظلامها.

وكذلك كانت مواعظ الأخ الحبيب والشيخ الفاضل "أبي أويس رشيد بن أحمد الإدريسي الحسني" -زاده ربي توفيقاً- في لفتاته التربوية الموسومة بـ (رسائل رمضان).

قرأتها فكانت كالقطر يذهب ييوسة الأرض، وكالقنديل يقضي على ظلمة الليل، دخلت قلبي فآنست وحشته، وقوت عزيمته؛ فله دره، وضاعف الله أجره، وجعل ذلك في ميزان حسناته، وتجاوز الله عني وعنه الزلل والخطأ.

أنصح من طالعها أن يوفيه حقها (بوعي مقاصدها)؛ فإنه -سلمه الله- قد (لقح كلماتها بالعلم) فنتاجها على قدر مخاض التأمل، ومن تأمل أدرك.

كتبه الفقير إلى عفو ربه:

أبو زيد حمد العتيبي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

أما بعد:

اعلم -يا رعاك الله- أنه من المهمات في سير العبد إلى الله -تعالى- تعبدا وقربة: الخروج عن مجرد صور الأعمال إلى ذوق معانيها.. والوقوف عند حقائقها..، والتشوف إلى أسرارها ومقاصدها..

ومن هذه الأعمال التعبدية الجليلة التي نحن بحاجة إلى أدائها بحقائقها وحكمها..، لا الوقوف عند مجرد صورتها: (صوم شهر رمضان والتقرب فيه للرحمان)!!..

ولأجل ذلك يسعدني أن أقدم لكم هذه "الرسائل الرمضانية".. عسى أن ننتفع بها جميعا من خلال تقرير مشاهد تزكوية.. ينبغي شهودها..، وذكر منازل سنية.. ينبغي صعودها.. تتعلق بهذا الشهر الفضيل؛ لنخرج في خصوصه من إلف العادة.. إلى حقيقة العبادة..

وأنا إذ رقت هذه الرسائل فإنني "أستغفر الله من الكلام فيما لست بأهل له"⁽¹⁾.

فإذا كان الإمام أحمد -رحمه الله- قال لما سئل عن أخلاق الورعين: "أسأل الله أن لا يمقتنا!"⁽²⁾؛ فكيف بحال هذا المذنب المفرط الفقير إلى عفو ربه ورحمته (!؟)..

ولما ذكر عند محمد بن الحسين -رحمه الله- أخلاق الصالحين قال:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد⁽³⁾

(1) من كلام الإمام ابن القيم -رحمه الله- في طريق المجرتين (ص 333) بتصرف يسير.

(2) سير أعلام النبلاء (226/11).

(3) صفة الصفوة (266/4).

فالكاتب في مثل هذه الموضوعات السلوكية قد يجد شيئاً من التردد والإحجام..، ويخشى أن يلبس عليه الشيطان من خلال هذا الباب (!)، فإن من كيد إبليس على المشتغلين والمتكلمين في السلوك إلى الله -تعالى- ومنازل السير؛ أن يلبس عليهم أنكم من جملة الموصوفين بذلك، لأنكم لم تقدروا على الوصف حتى عرفتم ما وصفتم وسلكتم الطريق (!!)..

فاعلم -علمني الله وإياك- أنه لا يلزم لمن وضع التعبد الصحيح..، والسلوك المليح.. أن يكون عاملاً لذلك..، شاهداً له..، وإن كنت أرجو أن يحملني هذا البيان على الاستحياء من الله ذي الجلال والعمل بغير اعتلال.

قال الحسن البصري -رحمه الله-: "لو كان المؤمن لا يعظ أخاه إلا بعد إحكام أمر نفسه، لُغِدَ الواعظون، وَقَلَّ المُذكرون، ولما وجد من يدعو إلى الله -عز وجل-، وُيرَغَّب في طاعته، وينهى عن معصيته، ولكن في اجتماع أهل البصائر ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضاً حياة لقلوب المتقين، واذكار من الغفلة، وأمان من النسيان"⁽¹⁾.

والله المستعان..، وعليه التكالان..

كتبه:

أبو أويس رشيد بن أحمد الإدريسي الحسني -عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي-.

(1) آداب الحسن البصري لابن الجوزي (ص 125).

****رسائل رمضانية (1)**..**

قال أحد السلف: "أهون الصيام ترك الشراب والطعام".

هذه المقولة الأثرية تبين حقيقة مفهوم الصيام شرعا، وأنه لا ينحصر -فحسب- في الإمساك عن (المفطرات الحسية = الإمساك الفقهي!)، فهو -كذلك- إمساك معنوي يتمثل في: صوم الفرج والبطن واللسان والأذن والسمع... وهكذا دواليك عن كل ما حرم الله تعالى ليلا ونهارا = اجتناب جراحات عبادة الصوم (!؟)..

فلا يتوهم المسلم أن هذه العبادة تنحصر -فقط- في مجرد الإمساك عن بعض الشهوات في النهار (!)، مع الانهماك في المحرمات في المَلَكُون وباستهتار، فهذا (الصوم العرفي)! لا يتجاوز إجاعة البطن، وإظماء الكبد، وفتور الأعضاء، وانقباض الأسارير، وبذاءة اللسان، وسرعة الانفعال، واتخاذ الصوم شفيعا (!) فيما لا يجب الله من فعل السوء وقوله..

فاحذر الاتكال على تعريف الفقهاء للصوم، وقصرهم إياه على الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، فإنه "حد اصطلاحي"؟!، قصدهم به بيان حدود صحة الصوم من بطلانه (فقها) فتأمل وبالعلم تجمل..

وإلا فالمفهوم الشرعي الشامل لحقيقة الصوم فكما أخبرناك...

قال -عليه الصلاة والسلام-: ((من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))⁽¹⁾.

قال الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله-: "وأما قوله -عليه الصلاة والسلام-: ((فمن لم يدع قول الزور...)). فمعناه الكراهة والتغليظ...، فمن اغتاب أو شهد زورا أو منكرا لم يؤمر بأن يدع صيامه، ولكنه يؤمر باجتناب ذلك ليتم له أجر صومه"⁽²⁾.

(1) رواه البخاري (1903) وغيره.

(2) التمهيد (56/19).

إذا لم يكن في السمع مِني تصاون وفي بصرى غض وفي منطقي صمت
فحظي إذا من صومي الجوع والظمأ فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

فمن يصوم عند صيامه عما سوى الله؛ فيحفظ الرأس وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى،
ويذكر الموت والبلى، ولا يتعلق بالدنيا، فهذا عيد فطره - حقيقة - يوم لقاء ربه ...
(للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه) ⁽¹⁾.

ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي وقد صمت عن لذات دهري كلها

فبالعمل (تعبدًا)! بموجب هذا المفهوم الشرعي الشامل للصيام يصير الصائم لله تعالى عبدا
ربانيا، بمبعدة عن النفاق والشقاق وسوء الأخلاق، فإن الصيام الحقيقي "لجام المتقين، وجنة
المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين" ⁽²⁾.

(1) صحيح البخاري (7492).

(2) زاد المعاد (27/2).

****رسائل رمضانية (2)****

يوم الصوم.. "معيار الإيمان" (!).. وذلك لكون المرء فيه بين حالتي:

- (الإمساك..) = من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.. وهذا يستوجب (مقام الصبر).

- و(الفطر..) = من غروب الشمس إلى آذان الفجر.. وهذا يستوجب (مقام الشكر)..

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: "فالصائم في ليله ونهاره في عبادة.. فهو في نهاره (صائم صابر)، وفي ليله (طاعم شاكر).."⁽¹⁾.

والإيمان نصفان = نصفه شكر.. ونصفه صبر.. ولذا فـ"كل مقام من مقامات المقربين يحتاج إلى صبر وشكر، وأحدهما لا يتم إلا بالآخر، لأن الصبر يحتاج إلى شكر عليه ليكمل، والشكر يحتاج إلى صبر عليه ليستوجب المزيد، وقد قرن الله تعالى بينهما، ووصف (المؤمنين) بهما"⁽²⁾.

وقد صح موقوفاً عن ابن مسعود -رضي الله عنه- عند الطبراني في الكبير وغيره أنه قال: "الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله"⁽³⁾.

والناظر -كذلك- في حقيقة الصوم -شرعاً- يجدها قائمة على (التجرد)! عن الشهوات.. ابتغاء وجه الله = (تفريده تعالى في ذلك)!.. كما في الحديث القدسي الصحيح: ((يدع طعامه وشرابه وشهوته (لأجلي)!!))⁽⁴⁾..

وعليه فالصائم -بشرطه(!)- قد حقق مقام التفريد لله تبارك وتعالى، الذي هو حقيقة التوحيد في الشريعة.. = (تجريد التوحيد)!..

(1) لطائف المعارف (ص: 226).

(2) الوعظ المطلوب للعلامة جمال الدين القاسمي -رحمه الله- (ص: 141-142).

(3) صحيح الترغيب والترهيب (2939).

(4) صحيح البخاري (1894).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "وكل ما سوى الله تعالى يتلاشى عند (تجريد) توحيده"⁽¹⁾.

فالم تأمل -إذن- في هذه الإشارات العلمية التزكوية تتبدى له علاقة (عبادة الصوم) بموضوع (العقيدة الصحيحة) ..، كعلاقة سائر القربات بـ (الأصل الأصيل) الذي هو التوحيد والإيمان، فهي (فرع) بالنسبة له.

وبعد فاعلم أن كل العلم كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي

فاحرص -عبد الله- على شهود مشهد (التوحيد والإيمان) عند صومك.. ليقوى تعلق قلبك بربك..

والله المستعان..

(1) الرد على البكري (647/2).

****رسائل رمضانية (3)..**

اعلم -يا رعاك الله- أن الصوم عنوان (التزكية)!...، {قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها}{⁽¹⁾..

ذلك لأن الغاية من عبادة الصيام "تحقيق التقوى"!...، {.. لعلكم تتقون}{⁽²⁾.. أي أن الصوم -بشرطه- (تخلية وتنقية = اتقاء)!..

فما مدى تحصيلنا لهذه الغاية (!؟)..
 وهذا ما جعل بعض أرباب البلاغة والبيان يقول أن (لعل) في الآية: "مُقلقة"!..

"فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من (أكبر العون على التقوى)"⁽³⁾..

وفي صحيح الترغيب والترهيب قال -عليه الصلاة والسلام-: ((صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهب (وحر) الصدر))⁽⁴⁾..

قال ابن الأثير -رحمه الله-: "(الصوم يذهب وحر الصدر) ... غشه ووساوسه. وقيل: الحقد والغيط. وقيل: العداوة. وقيل: أشد الغضب"⁽⁵⁾..

ومن تجليات هذه (التزكية = التخلية): ما جاء في الحديث الصحيح القدسي⁽⁶⁾: ((فإذا كان يوم صوم أحدكم لا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله؛ فليقل إني امرؤ صائم))!..

ف عبادة الصوم -إذن- مفتاح لـ إصلاح القلب بـ :

(1) سورة الشمس: الآيتان (9-10).

(2) سورة البقرة: الآيتان (183).

(3) زاد المعاد (2/27).

(4) صحيح الترغيب والترهيب (1032).

(5) النهاية: مادة (وحر).

(6) صحيح مسلم (1151).

– التوبة والاستغفار.. والذكر والأذكار..

والنتيجة: (التقوى) ... و"من اتقى ارتقى"؟!..

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: "وكل شيء له صدى، وصدأ القلب: الغفلة والهوى، وجلأؤه: الذكر والتوبة والاستغفار"⁽¹⁾.

لكن شرط هذه الإشارة: الخروج من (مجرد) صورة عبادة الصوم إلى (ذوق معانيها، والوقوف عند حقائقها)!!..

و أما المنطلق، فبعد العلم الصحيح: (الهمة العالية، والعزيمة الغالية)..

فـ "إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة، وردفه قمر العزيمة، (أشرقت) أرض القلب بنور ربها"⁽²⁾.

والله المعين..

(1) الوابل الصيب (ص: 162 – صحيحه).

(2) الفوائد (ص: 445 – فوائد الفوائد).

****رسائل رمضانية (4)..**

بدخول شهر رمضان الأغمر ترى عامة الناس وحدانا وزرافات في إقبال على الطاعات،
وتعرض للنفحات والبركات.. لسان حالهم يقول:

رمضان هل بوافر الخيرات يهدي لنا الآمال والبركات
يحيي القلوب بهدي رب راحم ويمدنا بالنور والنفحات
شهر الفضائل جئنا تجلو العنا بالحب تنعشنا بالنسمات

لكن مع مرور أيامه فإذا بالفتور يظهر، ويضعف الإقبال على القربات لأن (شعلة الشوق =
شعلة نور)؟! بدأت تخبو، مما يستدعي الحفاظ عليها عموماً (!) بـ :

- محاسبة النفس تأنيباً وعتاباً..

- ومجاهدتها مشاركة ومكابدة..

مع استصحاب:

- (الإخلاص) = توحيد المراد..

- و(الصدق) = توحيد الإرادة..

وعلى دعامتي:

- (العلم) الذي يبصر ويهدي..

- و(الهمة) التي تعلّي وترقي..

فالشوق إلى الله سبحانه وفضله وكرمه يحمل العبد على (المبادرة = العجلة المحمودة)! إلى
فعل الطاعات والحرص على ذلك، والازدياد من الضراعة والابتهاال إليه -جل وعلا-، رغبة
في مغفرته تعالى، وطلباً لمرضاته.. {وعجلت إليك رب لترضى} ⁽¹⁾..

(1) سورة طه: الآية (84).

قال أحد السلف في معنى الآية: "شوقاً إليك"، فستره بلفظ الرضا⁽¹⁾.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "وظاهر الآية أن الحامل لموسى -عليه السلام- على العجلة هو طلب رضا ربه، وأن رضاه في المبادرة إلى أوامره والعجلة إليه"⁽²⁾.

مع التنبيه أن الإقبال على الطاعات درجات ومراتب ومراكب:

أولها: (السعي)؛ قال تعالى: {فاسعوا إلى ذكر الله}⁽³⁾..

ثانيها -وهي أعلى من الأولى-: (المسارعة = المسابقة)؛ قال تعالى: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين}⁽⁴⁾..

ثالثها -وأعلاها-: (الفرار إلى الله)؛ قال تعالى: {ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين}⁽⁵⁾..

فاحرص عبد الله -خاصة في شهر رمضان- على الإقبال على الطاعات، وألزم نفسك بما يرضي رب الأرض والسماوات، واحذر التعلق بحبل الشهوات، واجتنب مرتع الغفلات، لتنال رضا رب البريات..

والله المستعان..

(1) مدارج السالكين (56/3).

(2) المدارج (61/3).

(3) سورة الجمعة: الآية (9).

(4) سورة آل عمران: الآية (133).

(5) سورة الذاريات: الآية (50).

****رسائل رمضانية (5)..**

من الملاحظ للعيان، خاصة في شهر رمضان، إقبال الناس على الطاعة وعبادة للرحمن..
وحتى يجد العباد الأثر الطيب لذلك؛ فلا بد عند فعلهم للقربة من شهود مشهد: (النصيحة
للّٰه فيها)!!...، فهو من المهمات غاية..

وحقيقته: (حضور القلب)!!...، ويتمثل ذلك في "إعمال عبادات القلوب" التي جماعها:
المحبة والخوف والرجاء..

ولذا كان المسلك الأثري يسير على وفق: "الاقتصاد في العبادات البدنية، و(الاجتهاد في
الأحوال القلبية)"!!..

وسر هذا؛ أن السير إلى الله يقطع بـ (الجنان) لا بـ الأبدان؛ فتأمل ولا تغفل..

وعليه؛ لا بد من تخلية القلوب من الأمراض والعلل لئتمدّ -تخلية وفضلا من الله- بالأزهار
والحلل..، فـ "شرط الإمداد الاستعداد"!!...، و"القلب هو القائد الأول، وعليه في جميع
الأمر المعول"!!..

فاحرصوا -عباد الله- على (تغيير ما في القلوب -بإصلاحها- حتى يغير الله بها ما
بالقوالب)!!..

نعم؛ لا يفهم من هذا المرقوم: تضييع عبادات الظاهر(!!)، فـ "إن الله على العبد عبوديتين:
(عبودية باطنة)، و(عبودية ظاهرة)، فله على قلبه عبودية، وعلى لسانه وجوارحه
عبودية"⁽¹⁾.

لكن القصد تقرير أن (صلاح القلب هو الأساس)..

(1) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم -رحمه الله- (229/3).

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك؛ طابت جنوده، وإذا خبث الملك؛ خبثت جنوده"⁽¹⁾.

ولأجله كانت (عبودية القلب) أعظم من (عبودية الجوارح) ومقدمة عليها..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: ".. أعمال القلوب التي فرضها -أي: الله تعالى- أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديمة المنفعة، أو قليلة المنفعة"⁽²⁾.

فالله الله في إصلاح القلوب لنجد أثر الطاعات، ونحقق الوصل بعلام الغيوب، وقد قيل قديماً: "اغتسل ثم اتصل"!!..، فتأمل وبالعلم تحمل..

والله المستعان..

(1) أنظر الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (15/10).

(2) مدارج السالكين (101/1).

****رسائل رمضانية (6)****

من الظواهر القبيحة التي تتبدى في شهر رمضان خاصة (إيثار المهم على الأهم)!!...،
وتقديم (المفضول على الفاضل)!!..، وهي صورة من صور تلبس إبليس على المريدین
للخير..، و"لو نام إبليس لوجدنا راحة" كما قال الحسن البصري - رحمه الله - فتنبه (!)..
ومن ذلك:

من يحرص على النوافل، وصلاة التراويح خاصة، ويخرج الصلاة المفروضة عن وقتها (!)..

بل هناك من يحرص على عبادة الصوم.. ولا يصلي أصلاً (!)..

ومن يحرص على الصدقات في أيام رمضان.. ويضيع زكاة الفطر (!!!)..

وهكذا دواليك.. من صور (الطغيان بالمظاهر والاعتزاز بها)!!!..

وقد بعث الحسن البصري - رحمه الله - قوماً من أصحابه في قضاء حاجة لرجل، وقال لهم:
"مروا على ثابت الباني فخذوه معكم، فأتوا ثابتاً فقال: أنا معتكف (!)، فرجعوا إلى الحسن
فأخبروه، فقال: قولوا له: يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من
حجة بعد حجة، فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه وذهب معهم"⁽¹⁾.

فتأمل -يا رعاك الله- في هذا الفقه المتين القائم على معرفة مراتب الأعمال، ومراعاة الفرق
بين الأهم والمهم (!)..، وحرص على ضبطه تأصيلاً وتنزيلاً..، ففي عدم اعتباره مفسد..
جملتها في الآتي:

أولاً: سوء فهم الشريعة حيث تنزل الأمور غير منازلها..

قال الإمام أبو عبيدة - رحمه الله -: "من شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم"⁽²⁾.

ثانياً: مغالطة النفس والاعتزاز، والنتيجة: ضياع الأجور..

(1) جامع العلوم والحكم (ص: 319).

(2) الجامع للخطيب - رحمه الله - (227/2).

ففي الفتح (3433/11) للحافظ -رحمه الله-: "قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور".

ثالثا: الاضطراب في الأعمال = الوقوع في الشرور والآفات..

قال أبو حامد الغزالي -رحمه الله-: "ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور"⁽¹⁾.

فعليك -عبد الله- بـ **فقه مراتب الأعمال** حتى يحسن سيرك في الطريق، ولا تتنكب سبيل التوفيق.

(1) الإحياء (403/3).

****رسائل رمضان (7)****

ما أحوجنا ونحن في حالة من الإقبال على الله تعالى في شهر رمضان خاصة بالصلاة..، والدعاء..، وقراءة القرآن..؛ إلى "التلذذ بهذه القربات، وذوق طعمها"!!؛ لشهود مشهد (الأنس بالله عند فعلها)!!..

ففي الحديث الصحيح: ((ذاق طعم الإيمان))⁽¹⁾..، ((وجد بمن (حلاوة) الإيمان))⁽²⁾..، ولذا "من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية"!!.. = بالخروج عن مجرد مظهر الأشباح إلى سمو الأرواح..

فـ (الأنس بالله تعالى) روح القرب منه -جل وعلا-، و(الأنس بالله تعالى) حالة وجدانية تحمل على التنعم بعبادة الرحمن، والشوق إلى لقاء ذي الجلال والإكرام..

قال أحد السلف: "مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها(!) قيل: وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره وطاعته".

فمتى ستنهض هذه النفوس من تعلقها بالحش، إلى تعلقها بالعرش (?!؟).. {وما أبرئ نفسي}⁽³⁾..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فاتممه (!)، فإن الرب تعالى شكور، يعني: أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة وانشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول)"⁽⁴⁾.

(1) صحيح مسلم (34).

(2) صحيح مسلم (43).

(3) سورة يوسف: الآية (53).

(4) المدارج (68/2).

والسلامة من هذا (الدخل) و(الدخن) بـ:

- التعلق بمعاني أسماء الله تعالى الموروثة للأنس به سبحانه كـ الجميل، والودود، والبر..
- واستحضار مراقبة الله تعالى.. ومعاينة آثار أسمائه وصفاته في ملكوته..

وكل هذا يثمر (قوة القرب منه سبحانه)..، بالحرص على الطاعة بحققها..، والبعد عن المعصية بشرطها.. = الاستئناس والنجاة من الإفلاس (!؟) ..

قيل للعابد الرباني وهيب بن الورد -رحمه الله-: هل يجد طعم العبادة من يعصيه ؟ قال: "لا.. ولا من يهم بالمعصية!!" ..

فإذا كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "إنما يقع الأنس بتحقيق الطاعة؛ لأن المخالفة توجب الوحشة، والموافقة مبسطة المستأنسين، فإذا لذة عيش المستأنسين، ويا خسارة المستوحشين"⁽¹⁾.

والله المستعان..

(1) صيد الخاطر (ص: 213).

****رسائل رمضان (8)..**

مما هو معلوم في الشريعة الغراء أن شهر رمضان شهر الصبر، حيث إذا تمثله العبد في أثناء صيامه، وكابد وروض حاله عليه؛ فإنه بذلك يشهد مشهد: (مجاهدة هوى النفس)؟!..، وهو من المشاهد الأساس في موضوع "التزكية"!!..

فاعلم -يا رعاك الله- أن في مخالفة النفس لهواها = (الشهوات والشبهات): اعتزازها وقوتها، ومنعتها من الشيطان وجنوده، وعدم ذلها، فقمع هوى النفس بمقمة المتابعة، وضربها بسياط الاقتداء، وصرفها بزمام التقوى، به تحصل العزة والمنعة = (قوة الإيمان)!!..

وموسم رمضان فرصة لهذه الرياضة التزكوية، فاحرص ولا تكن من الغافلين الذين غرقوا في (مستقع التدسية)!!.. {قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها} ⁽¹⁾..

وفي قمع أهواء النفوس اعتزازها ونيلها ما تشتهي ذل سرمد

فلا يستطيع العبد -إذن- التسنم والصعود إلى محاب الله إلا بمجاوزة الجبل الوعر = (النفس الأمارة بالسوء)، وذلك بمجاهدة هوى النفس..

قال تعالى: {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى} ⁽²⁾..

و(لذا) قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: ((.. وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله تعالى)) ⁽³⁾.

وقيل للحسن البصري -رحمه الله-: يا أبا سعيد: أي الجهاد أفضل؟ قال: "جهادك هوأك"!!..

(1) سورة الشمس: الآيتان (9-10).

(2) سورة النازعات: الآيتان (40-41).

(3) السلسلة الصحيحة (1491).

إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها

فالبلاء -عبد الله- في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه..، وقيمتك إذا ملكك هواك،
واتبعت رضا مولاك..

والسبيل العملي لـ مجاهدة هوى النفس في الآتي:

- اعلم أنك لم تخلق لمتابعة الهوى..
 - تفكر في العاقبة الوخيمة لذلك في هذه الدار ويوم القرار..
 - تذكر أن الأذى الذي يعقب لذة اتباع الهوى أعظم بكثير..
 - تلمح هذه العاقبة في غيرك وتفكر في ذلك..
 - تأمل فيما يجره عليك هواك فتسجده عين العمى..
 - تفكر في فائدة مخالفة الهوى في الدنيا والآخرة..
 - عليك بالتضرع والدعاء..
- قال تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} ⁽¹⁾..
- و"من حرص على المجاهدة حظي بالمعونة"..
والله المستعان..

(1) سورة العنكبوت: الآية (69).

****رسائل رمضان (9)..**

مما يستدعي (فكرة القلب = يقظته وتحديقه نحو المطلوب)؟! في شهر رمضان خاصة ما جادت به قريحة الإمام ابن رجب -رحمه الله- حيث قال في سياق حديثه عنه: "ألا إن شهركم قد أخذ في النقص، فزيدوا أنتم في العمل"⁽¹⁾.

وهذا يستوجب منك -عبد الله- شهود مشهد (التوفيق والمعونة = التبرؤ من الحول والقوة)!!، فلا سبيل إلى امتثال أوامره تعالى والازدياد في ذلك إلا بمعونته، ولا وصول إلى تحقيق مرضاته إلا بتوفيقه كما قال -جل وعلا- على لسان شعيب -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام-: {وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب} ⁽²⁾..

والمعنى: "وما توفيقي إلا بالله، أي: ما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى؛ لا (بحولي ولا بقوتي)" ⁽³⁾.

وصدق العز بن عبد السلام -رحمه الله- لما قال في قواعد الأحكام (18/1): "والله لن يصلوا إلى شيء إلا بالله، فكيف يوصل إلى الله بغير الله (!؟)"..

و اعلم أن دعائم حصول التوفيق لك من الله سبحانه = (أن لا يكلك الله إلى نفسك ولا إلى أحد من خلقه)! مردها إلى أمرين:

- التوكل: بالاعتماد على الله بالقلب، مع الأخذ بما هو مشروع..

- والإنابة: بالتضرع والرجوع إليه تعالى، والإقبال عليه والاستسلام له..

وهما بدورهما لا يتحققان، ولن يتحققا إلا بفضل ومعونة منه -جل وعلا-، فتذكر.. ولا تنكر..

(1) لطائف المعارف (ص: 262).

(2) سورة هود: الآية (88).

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص: 387).

و ضد التوفيق: (الخذلان)؛، وحقيقته: "أن يخلي الله بينك وبين نفسك"!!..، فالعبد متقلب بين توفيق الله وخذلانه، فإن أطاعه فبمعونته له فضلا منه ومنه (!) ..، وإن عصاه فبخذلانه له عدلا منه وحكمة (!) ..، {وما ربك بظلام للعبيد} ⁽¹⁾..

فإذا علم العبد حقيقة هذا (المشهد) شهد شدة حاجته إلى توفيق الله له في كل نفس ولحظة، وفي كل طرفة عين، فيسأل الله المعونة مسألة المضطر، ويعوذ به من خذلانه عياذ الملهوف، ويلقي نفسه بين يديه طريقا ببابه، مستسلما له، ناكس الرأس، خاضعا ذليلا، ولأجله كان من دعائه -عليه الصلاة والسلام- كما في الحديث الصحيح: ((يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت؛ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك)) ⁽²⁾!!

واحذر فإن باب التوفيق يغلق على الخلق كما قال شقيق بن إبراهيم البلخي -رحمه الله- من ستة أشياء:

"(اشتغالهم بالنعمة عن شكرها)؛،

و(رغبتهم في العلم وتركهم العمل)؛،

و(المسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة)؛،

و(الاغترار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم)؛،

و(إدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها)؛،

و(إقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها)!" ⁽³⁾.

فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك..

(1) سورة فصلت: الآية (46).

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (2457).

(3) الفوائد للإمام ابن القيم -رحمه الله- (ص: 177).

****رسائل رمضانية (10)..**

قال العلامة البشير الإبراهيمي -رحمه الله-: "يجب لليالي رمضان أن تكون حية عند المسلمين، لا بما هم عليه من السهرات الوقحة، واللهو الماجن، والشهوات القاتلة؛ فإن هذا النوع من الإحياء هو في حقيقته (إماتة لحكمة الصوم)؛، (و) قتل لسره وخيره)؛، (و) محو لروحانيته وآثاره النافعة)!"⁽¹⁾.

هذا المرقوم المنتقى يشير به صاحبه إلى الغاية من صوم رمضان والمتمثلة في "تحقيق التقوى"!!!، {لعلكم تتقون}⁽²⁾.. أيها المسلمون..

وعليه فـشهر رمضان محطة لحمل النفس على التحلي بالفضائل، وتدريبها على اجتناب الرذائل، في حالتي السر والعلانية..، ففي الحديث الصحيح: ((اتق الله حيثما كنت))⁽³⁾!!، أي: في الخلوة والجلوة، وحيث يراك الناس، وحيث لا يرونك.. = (حقيقة التقوى)!!.. مع التنبيه أن صون النفس في حالة الخفاء هو (أصل الأمر ورأسه)!!.. = (ميزان التقوى)!!..

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "الحذر الحذر من الذنوب، خصوصا ذنوب الخلوات؛ فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه"⁽⁴⁾.

فصلاح سر العبد هو معيار إيمانه، وأساس استقامته.. "وفي الجملة فتقوى الله في (السر)؛ هو علامة كمال الإيمان"⁽⁵⁾.

ولذا حرص سلفنا الصالح -رحمهم الله- على صفاء حالة الخلوة أكثر من حالة الجلوة، فهذا هو الإمام ابن سيرين -رحمه الله- كان: "يضحك بين الناس، وإذا خلى بالليل فكأنه قتل أهل قرية"!!..

(1) الآثار (293/2).

(2) سورة البقرة (183).

(3) السلسلة الصحيحة (1373).

(4) صيد الخاطر (ص: 207).

(5) جامع العلوم والحكم (ص: 174).

فإن الله في الخلوات.. واجعل -أيها العبد- شهر النفحات والبركات سبيلا إلى تنقية النفس من التعلق بالسيئات.. حتى تحظى مع أهل التقى بالخصوصية من جملة البريات.. فإن (أكثر الناس في خلواتهم على غير حالتهم في جلواتهم)!!...، فـ"لا تكن وليا لله في العلانية، عدوا له في السر"!!...، فاللهم عفوك وغفرانك..

فالأوجب على العبد -إذن- ونحن في رياض شهر التزكية خاصة؛ أن ينهض إلى إصلاح سره خصوصا، وإصلاح شأنه عموما، فمن أصلح حال سره، أحسن الله له حال علانيته.. قال سليمان التيمي -رحمه الله-: "من أحسن لله سريره؛ فاح عير مسكه في علانيته". ويستعان على ذلك بـ:

- تعويد النفس على الخلوة الإيمانية (الأثرية)!!..

- استحضار مراقبة الله، والحياء منه..

- الدعاء بصلاح الحال كله فإنه من أنفع الأدوية..

فارزقنا اللهم الصدق معك في السر والعلانية..

** رسائل رمضان (11) ..

المقصد الأصلي من قربة الصيام = الإمساك عن المفطرات: (تعبداً لله تعالى؟!!)، ولها في الوقت نفسه مقاصد أخرى لكنها (تبعية!!) فتنبه..، ومن ذلك (ضبط أوعية البطن لترويضها؛ ليتزن أمرها؟!!)، فما أخرجنا لشهود هذا اللون من ألوان "المجاهدة"!!..

فـ(شهوة البطن) من أعظم المهلكات إذا لم يضبطها العبد ويلجمها بما جاء به الشرع(!)، فبها أخرج آدم -عليه السلام- من الجنة..، ومن شهوة البطن تحدث شهوة الفرج، والرغبة في المال(!..)، ويتبع ذلك آفات كثيرة..

قال تعالى: {وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين} ⁽¹⁾..

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: "{وكلوا واشربوا} أي: مما رزقكم الله من الطيبات {ولا تسرفوا} في ذلك، والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات التي تضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوع في المأكول والمشرب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام" ⁽²⁾.

وفي الحديث الصحيح قال -عليه الصلاة والسلام-: ((من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه؛ دخل الجنة)) ⁽³⁾..

فمقولة: ((ما بين لحييه)) قيل المراد بها: لسانه، وفسرت بـ (بطنه)!!..، والقصد أن الله يقي العبد شر بطنه بتوقيفه وإعانتته على ضبطه..، ولذا في الحديث الصحيح قال -عليه الصلاة والسلام-: ((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)) ⁽⁴⁾..

(1) سورة الأعراف: الآية (31).

(2) تيسير الكريم الرحمن: تفسير سورة الأعراف.

(3) السلسلة الصحيحة (509).

(4) السلسلة الصحيحة (2265).

فلا تغفل -عبد الله- وأنت في شهر المكابدة عن ترويض (وعاء بطنك)؛ لتتزن الرغبة في المال، وتستقيم شهوة فرجك..

قال مالك بن دينار -رحمه الله-: "ما ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر من همه، وأن تكون شهوته هي الغالبة"..

فخذ لوعاء بطنك = (الطعام والشراب) ما يقيم لك حياتك = (الذوق الواجب)، وما يعينك على طاعة الله تعالى مما أذن -جل وعلا- فيه = (الذوق المستحب)!!.. واحذر آفة الشره التي تتسبب في إفساد حالك، واضطراب صحتك، وتحملك على الكسل في طاعة ربك.. وأقل ذلك أن تعير بطنك (!!)..

قال سلمة بن سعد -رحمه الله-: "إن كان الرجل ليعير بالبطنة كما يعير بالذنب!!!"..

نسأل الله السلامة والعافية..

****رسائل رمضانية (12)..**

مما هو معلوم لا يخفى أن شهر رمضان شهر القرآن، وعليه فالاعتناء بالنظر في آياته فيه خاصة من المهمات = (نظر التأمل)؟!، فـ"النظر في آيات القرآن؛ كحل للعين وتحلية/تجلية للقلب"...!، والغاية: (تحقق الاهتداء)؟!..

مع العلم أن دعائم الهداية بالقرآن مردها إلى أمرين:

- العلم بالكتاب = وبلغة القرآن: (النور)!!..

- والعمل بمقتضى ذلك = وبلغة القرآن: (الروح)!!..

قال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا هادي بها من نشاء من عبادنا} ⁽¹⁾..

ومرجع ذلك إلى (العلم بالكتاب)!!، فالعلم النافع يحمل على العمل الصالح..، وحقيقة هذا العلم تتمثل في = (التدبر)؟!.. الذي هو "المقصد الأساس" من إنزال القرآن..

قال تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب} ⁽²⁾..

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

ومن المقامات الرائقة الفائقة التي تفتح باب التدبر بعد الاستعانة بـ(علم التفسير)؟!: شهود مشهد مخاطبة الله لك بآيات القرآن..

قال الحسن البصري -رحمه الله-: "إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار"..

(1) سورة الشورى: الآية (52).

(2) سورة ص: الآية (29).

قال الغزالي - رحمه الله -: "قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا - عز وجل - بعهوده، نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات، والسنن المتبعات"⁽¹⁾.

هو الكتاب الذي من قام يقرأه كأنما خاطب الرحمن بالكلم

فإن الله في التبصر في آيات القرآن..، للنجاة من أقفال الجنان..

{أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}⁽²⁾..

قلوب مقفلة..، وملكات معطلة..

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: "فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر؛ لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية هو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مئة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمه بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن.

وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح"⁽³⁾.

فالتدبر "تدقيق"!!، والتذكر "تحقيق"!!، والنتيجة: (قوة الصلة بالله تعالى = شهود مشهد الربانية)!!..

قال تعالى: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}⁽⁴⁾.

والله المستعان.

(1) الإحياء (1/285).

(2) سورة محمد: الآية (24).

(3) مفتاح دار السعادة (1/553).

(4) سورة آل عمران: الآية (79).

****رسائل رمضانية (13)..**

لا ريب أن قراءة القرآن في شهر رمضان -خاصة آناء الليل وأطراف النهار- من أجل القربات، إلا أن الحرص على ذلك في (لياليه)!! من الأعمال الفاضلة التي تستوجب الإقبال بحمة عالية.. فـ(الظرف الزمني) الذي وردت فيه عموم النصوص المتعلقة برمضان والقرآن هو: (الليل)!! وهذا ظاهر في دالتين:

- أولهما: وقت نزول القرآن -ولا أقول تنزيله (!)-: قال تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} ⁽¹⁾، وقال سبحانه: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين} ⁽²⁾، فتأمل قوله: {ليلة}!!..، وأكثر أهل العلم على أنها: "ليلة القدر"!!..

ويستفاد من هذا؛ أن قراءة القرآن في ليالي رمضان مقدمة على النهار.. وفي كل الخير..
فتنبه!!

ثانيهما: (مدارس النبي -عليه الصلاة والسلام- القرآن مع جبريل في رمضان)!!..، ووقت ذلك "الليل"!!.. فعند البخاري -رحمه الله- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ((...وكان جبريل يلقاه في كل (ليلة)! من رمضان فيدارسه القرآن)) ⁽³⁾..

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله-: "وفي حديث ابن عباس أن المدارس بينه ﷺ وبين جبريل كانت (ليلاً)، فدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان (ليلاً)؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: {إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً} ⁽⁴⁾» ⁽⁵⁾.

وقال العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله- عند حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: "... وفيه فائدة أخرى: وهي أن المدارس في (الليل) أفضل من النهار، لأن هذه المدارس

(1) سورة البقرة: الآية (185).

(2) سورة الدخان: الآية (3).

(3) صحيح البخاري (6).

(4) سورة المزمل: الآية (6).

(5) لطائف المعارف (ص: 315).

كانت في (الليل)، ومعلوم أن الليل أقرب إلى اجتماع القلب وحضوره، والاستفادة أكثر من المدارس فهاراً⁽¹⁾.

ويضاف إلى ما ذكر في أفضلية الليل على النهار في خصوص الحرص على القرآن في رمضان خاصة: أن (السفر = السفر المعنوي)! إلى الله تعالى ليلاً تطوى به مراحل القرب إليه سبحانه، كما تطوى الأرض ليلاً في (السفر الحسي)⁽²⁾!!...، فكيف وهذا السفر المعنوي في شهر رمضان وبمصاحبة كلام الرحمن (?!).

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "إنما يقطع السفر ويصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل، فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله، فمتى يصل إلى مقصده (?!)"⁽³⁾.

مع التذكير أن أفضل أوقات الليل: (الثلاث الأخير) منه، لخصوصية نزول الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا.. -كما في الحديث الصحيح⁽⁴⁾- نزولاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته؛ بلا تمثيل ولا تكييف..

والله المستعان..

(1) الجواب الصحيح من أحكام صلاة الليل والتراويح (ص: 13).

(2) إشارة إلى قوله ﷺ: ((عليكم بالدجّة -السير بالليل- فإن الأرض تطوى بالليل)). وقوله ﷺ: ((فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار)). الصحيحة (681 - 682).

(3) فوائد الفوائد (ص: 451).

(4) إشارة إلى قوله ﷺ: ((يترل ربنا -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)). صحيح البخاري (1145).

****رسائل رمضانية (14)..**

القرآن العظيم له ميزته في شهر رمضان، مما يستدعي الدندنة عنه في أكثر من رسالة، وقد سبق معنا تقرير أفضلية (الاشتغال به في لياليه أكثر من نهاره)..، ونزيد ذلك تقريراً من (جهة) ما يناله العبد -إذا حرص على ذلك، إضافة إلى ما يتفضل الله به عليه من حسنات على كل حرف يتلوه منه- من "مكرمات ومقامات"!!... وهي:

- (الشفاعة): قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: ((الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب: منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتك النوم -الليل!! فشفعني فيه. -قال-: فـ "يشفعان")⁽¹⁾.

- (النجاة من الغفلة): قال -عليه الصلاة والسلام-: ((من قرأ عشر آيات في (ليلة)!! لم يكتب من (الغافلين))⁽²⁾.

- (يكتب العبد من القانتين): قال -عليه الصلاة والسلام-: ((من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ في (ليلة)!! مائة آية كتب من (القانتين))⁽³⁾.

واعلم -يا رعاك الله- أن إدراك "لذة القرآن" يشهدها العبد إذا (تفهمه وتدبره)؟!..

قال الزركشي -رحمه الله-: "من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئاً"⁽⁴⁾.

والمدخل إلى ذلك (علم التفسير)!!، الذي هو "رئيس العلوم الشرعية ورأسها" كما قال العلامة الخضر حسين -رحمه الله- في السعادة العظمى (ص: 14).

(1) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (3882).

(2) رواه الحاكم، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم: 640): "صحيح لغيره".

(3) رواه ابن خزيمة في صحيحه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم: 640).

(4) البرهان (171/2).

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله -: "إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته (!!) "⁽¹⁾.

وتنبه - بارك الله فيه - إلى أن الإحالة على التفسير ليس لأن فيه ما هو أجزل، أو أدق، أو أجمل، أو أوضح مما في القرآن أو ما يدانيه، بل غاية الأمر أنه للتوضيح والتقريب للمعنى..

فإن الله في علم التفسير - وكل بحسبه (!؟) - فإذا كان الإمام الذهبي - رحمه الله - قال في زمنه في رسالته: "زغل العلم" (ص: 49): "قل من يعتني اليوم بالتفسير" (!)..

فما قولنا نحن في أيامنا هذه (!؟) ..، والله المستعان..، وعليه التكلان..

(1) أنظر معجم الأدباء (63/18).

****رسائل رمضانية (15)..**

قال أحد السلف: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء"..⁽¹⁾

فحقيقة الصوم -يا رعاكم الله كما سبق معنا- لا تقف عند حد الإمساك عن المفطرات الحسية، بل الواجب كذلك -تأكيداً(!؟)- الإمساك عن معصية رب البرية..، فـ"الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل"⁽¹⁾.

أستغفر الله من صيامي طول زماني ومن صلاتي
صوم يرى كله خروق وصلاة أيما صلاة

ومن أعظم ما ينبغي الاحتراز منه من المعاصي خاصة في يوم الصوم: (ذنوب اللسان)!!، فـ"اللسان جرمه صغير، وجُرمه كبير"..⁽²⁾

و"أيسر حركات الجوارح حركة اللسان، وهي (أضرها)! على العبد"⁽²⁾.

قال غير واحد من الأئمة: "أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة(!؟)، ولكن في (الكف عن أعراض الناس)!!".

فضع نصب عينيك -عبد الله- قوله تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}⁽³⁾..

فاحفظ لسانك -خاصة عند صومك لتجنبه الجراحات- من الاشتغال بالناس، والتفتيش عن أحوالهم، والكلام فيهم؛ إلا بيانا لحق أو كشفاً لباطل، أو رداً على صاحب ضلالة.. بالضوابط الشرعية... والشروط الأثرية... والحدود المرعية..

(1) فوائد الفوائد (ص: 483).

(2) الداء والدواء (ص: 374).

(3) سورة ق: الآية (18).

ومما يعين على (حفظ المنطق)!: الاشتغال بذكر الله تعالى وفق ما جاء في سنة وهدي النبي -عليه الصلاة والسلام-..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في معرض حديثه عن فضائل الذكر: ".. أنه سبب اشتغال اللسان (عن) الغيبة والنميمة والكذب، والفحش والباطل، فإن العبد لا بد له أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى، والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن ييس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش"⁽¹⁾.

ولو لم يكن في ذكره غير أنه طريق إلى حب الإله ومرشد وينهى الفتى عن غيبة وغميمة وعن كل قول للديانة مفسد

قال الإمام ابن عون -رحمه الله-: "ذكر الناس داء، وذكر الله دواء"..⁽²⁾

قال الإمام الذهبي -رحمه الله- معلقاً: "إي والله، فالعجب منا ومن جهلنا، كيف ندع الدواء ونقتحم الداء(!)، قال تعالى: {فاذكروني أذكركم}⁽³⁾، وقال: {ولذكر الله أكبر}⁽⁴⁾، وقال: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب}⁽⁵⁾، ولكن لا يتهياً ذلك إلا بتوفيق الله، ومن أدمن الدعاء ولازم قرع الباب فتح له"⁽⁶⁾.

والله المستعان..

(1) الوابل الصيب (ص: 87).

(2) سورة البقرة: الآية (152).

(3) سورة العنكبوت: الآية (45).

(4) سورة الحديد: الآية (16).

(5) السير (369/6).

****رسائل رمضانية (16)..**

من عظيم ما ينبغي الحرص عليه في شهر رمضان خاصة: (الدعاء)!!..

فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: ((إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة، وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة -يعني في رمضان- دعوة مستجابة))⁽¹⁾!!

فلا تغفل -عبد الله- في أيام رمضان ولياليه عن "سلاح الدعاء"، فبه تشهد (مشهد التضرع)!!.. خاصة عند السحر = (سهام الليل)!!..، حيث يشهد العبد (مشهد المناجاة)!!..

ففي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: "من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"))⁽²⁾!!..

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي -رحمه الله-: "ليس بفقير من كان له إلى الله حاجة فنام عنها في الأسحار"⁽³⁾.

فلا تفوت -يا رعاك الله- عن نفسك -بشرطه(!؟)- التعرض لنفحات هذا الوقت المبارك تفضلاً ومنة من الرحمن الرحيم، فـ"لو استنشقت ريح الأسحار لأفاق منك قلبك المخمور"⁽⁴⁾.

فالدعاء مأمور به، موعود عليه بالاستجابة -إذا توفرت الشروط وزالت الموانع-..، {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم}⁽⁵⁾..

(1) رواه البزار، وهو صحيح لغيره، أنظر صحيح الترغيب والترهيب (رقم: 1002).

(2) صحيح البخاري (1145).

(3) الدعاء المأثور (ص: 52).

(4) الفوائد للإمام ابن القيم -رحمه الله- (فوائد الفوائد - ص: 469).

(5) سورة غافر: الآية (60).

ولذا اشتهر عن عمر -رضي الله عنه- قوله: "أنا لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء!!.."

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: ".. وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعفه في نفسه؛ بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله، وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة، والسهو، واللهو، وغلبتها عليها"⁽¹⁾.

وليعلم أن الحرص على الدعاء سبيل للسلامة من العجز، ودليل على الكياسة، فأضعف الناس رأياً، وأعماهم بصيرة: (من عجز عن الدعاء!!)، فالعاجز عنه من أعجز الناس..

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال -عليه الصلاة والسلام-: ((أعجز الناس من عجز عن الدعاء!!، وأبخل الناس من بخل بالسلام))⁽²⁾.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

(1) الجواب الكافي (ص: 11).

(2) صحيح أنظر صحيح الجامع برقم: (1044).

****رسائل رمضانية (17)..**

سبق معنا أن لكل مسلم في كل يوم وليلة من رمضان دعوة مستجابة -بشرطه-، مما يستدعي الحرص على هذه العبادة الجليلة فيه خاصة، ففي الحديث الصحيح: ((الدعاء هو العبادة))⁽¹⁾؟!..

والغرض التنبيه عند هذا الحرف من الكلام على أن (أنفع) الدعاء: "طلب العون من الله على طاعته سبحانه"!!..، " فجميع الأدعية الماثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله وتيسير أسبابه. فتأملها"⁽²⁾.

وسر هذا؛ لكون أفضل المواهب أن يسعف العبد على تحقق هذا (المطلوب = الغاية من خلق الخلق)؟!..، فتفكر لتتذكر..

فلا تغفل -يا رعاك الله- على هذا المرقوم وأنت في هذه الأيام المباركة..، فافهم والزم..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة في: {إياك نعبد وإياك نستعين}⁽³⁾"⁽⁴⁾.

و بيان هذا بالآتي:

حقيقة (العبادة) تقوم على: غاية الحب.. وغاية الخضوع..

وحقيقة (الاستعانة) تقوم على: الثقة بالله.. والاعتماد عليه..

(1) صحيح سنن أبي داود (1329).

(2) المدارج (90/1).

(3) سورة الفاتحة: الآية (5).

(4) المدارج (90/1).

وبشهود مقام (إياك نعبد) تندفع آفة: (السمعة والرياء)!!..

وبشهود مقام (إياك نستعين) تندفع آفة: (العجب والكبرياء)!!..

والنتيجة: "سعادة الدنيا والآخرة"؟!.. المتمثلة في: (الاهتداء)!!.. = السير على صراط الله المستقيم..، وبه تندفع آفة: (الجهل والضلال)!!..، فيرزق العبد (العافية)!!..، وتتم عليه (النعمة)!!..، "وعلى قدر سير العبد على هذا الصراط في الدنيا؛ يكون سيره على ذلك الصراط في الآخرة"!!..

فـ "معرفة العبودية ومبدؤها (إياك نعبد)، وكمالها (إياك نستعين) في جميع المطالب، وإذا تم الوفاء بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله تعالى: {إهدنا ..} إلى آخره، وهذا ترتيب لا يتصور أحسن منه"⁽¹⁾.

ولذا كان لقوله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين}⁽²⁾ المكانة العلية عند السلف الصالح..

قال أبو مسهر - رحمه الله -: "حدثنا مزاحم بن زفر قال: صلى بنا سفيان الثوري المغرب فقرأ حتى بلغ {إياك نعبد وإياك نستعين} بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ {الحمد لله..}⁽³⁾"⁽⁴⁾.

فاللهم وفقنا لطلب العون على مرضاتك..

(1) تفسير النيسابوري - رحمه الله - (46/1).

(2) سورة الفاتحة: الآية (5).

(3) سورة الفاتحة: الآية (1).

(4) حلية الأولياء (154/3).

****رسائل رمضانية (18)..**

عموم الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى، بخلاف (عبادة الصوم) فهي كف وترك وإمساك باطني بالصبر المجرد، ولذا ذكر العلماء في سر تخصيص الصوم دون غيره بقوله تعالى في الحديث القدسي الصحيح: ((فإنه لي))⁽¹⁾: (لأنه لا يقع فيه الرياء)!! ..، مع التنبيه أن هذه العبادة لا يقع فيها الرياء من جهة (العمل لا من جهة القول)!!..

وعليه؛ إذا استعظمتنا الأكل والشرب في نهار الصوم -ولو كنا وحدنا- لاطلاع الحق سبحانه وتعالى علينا(!)، فينبغي استصحاب هذه المنزلة = (المراقبة)!! في سائر أحوالنا وشؤوننا = عند العمل، وفيما يخص الزلل(!)!!..

لكن لما كانت قلوبنا الغافلة تستشعر البعد دون القرب(!)، صرنا بمبعدة عن رياض اليقظة والرجاء والخوف والحب(!)!!..

قال تعالى: {وكان الله على كل شيء رقيباً}⁽²⁾..

وحقيقة منزلة المراقبة تتجلى في: "شهود القلب قرب الرب تبارك وتعالى"!!..

ومنشؤها: "علمك ويقينك -عبد الله- باطلاع الحق -جل وعلا- على ظاهرك وباطنك، وخلوتك وجلوتك، وسرك وعلايتك"!!..

قال الإمام ابن المبارك -رحمه الله- لرجل: "راقب الله تعالى". فسأله عن تفسيرها فقال: "كن أبداً (كأنك)؟! ترى الله -عز وجل-"⁽³⁾.

و حصولها: بـ"التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة"⁽⁴⁾.

(1) صحيح البخاري (1904).

(2) سورة الأحزاب: الآية (52).

(3) الإحياء (297/4).

(4) المدارج (66/2).

واعلم - يا رعاك الله - أن تحقيق "مقام المراقبة" يورث:

- (تزكية النفس): ففي الحديث الصحيح قال رجل للنبي -عليه الصلاة والسلام-: "وما تزكية النفس؟"، فقال: ((أن يعلم أن الله -عز وجل- معه حيث كان))⁽¹⁾..

- (والبعد عن المعاصي): فشهود القلب لقرب الرب، يورث حياء من فعل ما تدعوك نفسك إليه من الذنب.

إذا ما خلوت الدهر يوما بريئة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني
- (وتحسين العبادات): كما قال ابن منظور -رحمه الله-: "من راقب الله أحسن عمله"⁽²⁾.

ومن ذلك (تحقيق الإخلاص في العبادات)..، فعن الحسن -رحمه الله- قال: "رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخر"⁽³⁾.

كما يرزق العبد (الأنس بالله عند العبادات)..، قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "ومتى تحققت المراقبة حصل الأنس"⁽⁴⁾.

فعليك -وفقي الله وإياك- باستثمار الصيام في استحضار اطلاع الحق عليك وتقوية ذلك..، فمن (غايات عبادة الصوم: تحقيق منزلة المراقبة)!!..

فـ"أفضل الطاعات: مراقبة الحق على دوام الأوقات"..

(1) السلسلة الصحيحة (1046).

(2) لسان العرب (115/13).

(3) إغاثة اللهفان (ص: 392).

(4) صيد الخاطر (ص: 252).

****رسائل رمضانية (19)..**

في الصحيحين من حديث أمنا عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((كان رسول الله -عليه الصلاة والسلام- إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله))⁽¹⁾..

وهذا (كناية) على أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها -خاصة في لياليها-.

ويعجبني عند هذا الحرف من الكلام جواب شيخ الإسلام -رحمه الله- لما سئل عن عشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان -أيهما أفضل-؟

فأجاب بقوله: "(أيام) عشر ذي الحجة أفضل من (أيام) العشر من رمضان، و(الليالي) العشر الأواخر من رمضان أفضل من (ليالي) عشر ذي الحجة"⁽²⁾.

فعليك بالجد والاجتهاد -عبد الله- في هذه العشر (الأواخر) المباركات...، فـ"الأعمال بالخواتيم"⁽³⁾!..، و"تذكر حلاوة الوصال؛ يهن عليك مرّ المجاهدة"⁽⁴⁾.

واحرص -أعانك الله- على مراعاة ما يوصلك إلى المطلوب المحبوب = (العزیز الغفور ودار نيل الأجور)؟!..، وليكن ذلك وفق "السعي المشكور"؟!..

أما ما يوصل إلى المطلوب فكما قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "الوصول إلى المطلوب موقوف على (هجر العوائد)!"، و(قطع العوائق)!"⁽⁵⁾.

(1) صحيح البخاري (2024).

(2) الفتاوي (287/25).

(3) طرف من حديث في صحيح البخاري (6607).

(4) الفوائد (فوائد الفوائد - ص: 470) -.

(5) الفوائد (ص: 153).

أما (العوائد) فكالسكون إلى الدعة، والراحة، وما ألفه الناس واعتادوه من الرسوم والأوضاع التي جعلوها ديناً وقربة (!)، ورحم الله أبا حامد الغزالي حيث قال: "القطام عن المألوف شديد، والنفوس عن الغريب نافرة"⁽¹⁾.

أما (العوائق) فهي التي تعوق القلب عن سيره إلى الله، وتقطع عليه طريقه؛ وهي ثلاثة أمور:

- (الشرك) وبيضاده (التوحيد) ..

- و(البدعة) وبيضادها (السنة) ..

- و(المعصية) وبيضادها (الطاعة) ..

أما (السعي المشكور) الذي يجب السير على وفقه فقد جمع الله شروطه في قوله: {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً}⁽²⁾ ..

فلا بد من شرط "الإيمان" = {وهو مؤمن} .. فـ"الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالاً صالحة إلا بالإيمان" ..⁽³⁾.

ولا بد من شرطي "الإخلاص" = {ومن أراد الآخرة} ..، و"الاقتداء برسول الله -عليه الصلاة والسلام- = {وسعى لها سعيها} ..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "العمل بلا (إخلاص)! ولا (اقتداء)! كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه"⁽⁴⁾ ..

والله المستعان ..

(1) المستصفى (19/1).

(2) سورة الإسراء: الآية (19).

(3) تيسير الكريم الرحمن (83/3).

(4) الفوائد (ص: 49).

****رسائل رمضانية (20)..**

مضت أيام شهر رمضان وانصرمت يوما بعد يوم وما بقي منها إلا القليل، فيا "أيها المحسن فيما مضى منه دُم، و(يا) أيها المسيء وَبَّخْ نفسك على التفريط ولُم⁽¹⁾".

ولا يغب عن بالك -يا رعاك الله- أنك في ظل أيام مباركات = (العشر الأخيرة)!! من هذا الشهر كان يحرص فيها النبي -عليه الصلاة والسلام- على الاعتكاف(!؟)، إضافة إلى ليلة فيها ينبغي التماسها والتعرض لنفحاتها..

بشهر أنزل الرحما ن فيه أشرف الذكر
وهل يشبهه شهر وفيه ليلة القدر
فكم من خبر صح بما فيها من الأجر
روينا عن الثقات أنها تطلب في الوتر
فطوبى لأمري يطلبها في هذه العشر
ففيها تنزل الأملاك بالأنوار والبر
وقد قال سلام هي حتى مطلع الفجر

وما سبق ذكره عن هذه الأيام يستدعي منا جميعا فيها خاصة:

أولاً: (الحذر من الغفلة عن الله)!!!..

فكم من غافل عن مولاه لم يستفق إلا وهو صريع بين الأموات(!!)، قال تعالى: {اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم} ⁽²⁾..، فاللهم غفرانك..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "إياك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلا، ولأيامك وأنفاسك أمدًا، ومن كل ما سواه بُدْ، ولا بُدْ لك منه" ⁽¹⁾.

(1) التبصرة لابن الجوزي -رحمه الله- (72/3).

(2) سورة الأنبياء: الآية (1).

ثانيا: (الحذر من تضييع الأوقات)!!...:

فضياع الوقت من علامات المقت، فشرط قوة السير إلى الله: (عمارة الوقت بما يرضيه سبحانه، والخوف من الندم على تضييعه عند الموت)!!...، قال تعالى: {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون} ⁽²⁾..، فاللهم رحماك..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها" ⁽³⁾.

تَرَحَّلَ الشَّهْرَ وَالْهَفَاهُ وَأَنْصَرَمَا وَاخْتَصَّ بِالْفُوزِ فِي الْجَنَاتِ مَنْ خَدَمَا
وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمُسْكِينُ مُنْكَسِرَا مَثَلِي فَيَا وَيْحَهُ يَا عُظْمَ مَا حُرْمَا
مَنْ فَاتَهُ الزَّرْعُ فِي وَقْتِ الْبَذَارِ فَمَا تَرَاهُ يَحْصِدُ إِلَّا الْهَمَّ وَالنَّدَمَا

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: "فالمبادرة إلى اغتنام العمل فيما بقي من الشهر؛ فعسى أن يستدرك به ما فات من ضياع العمر" ⁽⁴⁾.

والله المستعان ..، وعليه التكلان..

(1) الفوائد (ص: 449 - فوائد الفوائد).

(2) سورة المؤمنون: الآية (99).

(3) الفوائد (ص: 458 - فوائد الفوائد).

(4) لطائف المعارف (ص: 193).

****رسائل رمضانية (21)..**

في الحديث عن أمنا عائشة -رضي الله عنها- قالت: "يا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال: ((قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني))" (1).

في هذا الحديث (إشارة) إلى أهمية شهود العبد (مشهد عدم الاعتداد بعباداته وقرباته = شهود مشهد التقصير)!!!، {والذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة} (2)..

وقد ثبت عن عائشة -رضي الله عنها- أيضا أنها سألت رسول الله -عليه الصلاة والسلام- عن هذه الآية فقالت: "أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون ؟ فقال: ((لا يا ابنة الصديق؛ ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم {أولئك يسارعون في الخيرات} (3)) (4)..

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: ".. وإنما أمر بسؤال العفو ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملا صالحا، ولا حالا، ولا مقالا؛ فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر" (5).

فاحرص -عبد الله- على سؤال الله العفو في ليالي العشر الأخيرة خاصة؛ رجاء موافقة ليلة القدر..، فقد أخفي تعيينها لحمل النفوس على الجد والاجتهاد.. فـ"ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو" -كما قال يحيى بن معاذ- رحمه الله-.

قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله- في سياق كلامه عن الأذكار والأدعية المتعلقة بشهر رمضان: ".. تحري الدعاء في ليالي العشر الأواخر رجاء ليلة القدر، وقد ثبت عن النبي -

(1) أنظر السلسلة الصحيحة رقم: (3337).

(2) سورة المؤمنون: الآية (60).

(3) سورة المؤمنون: الآية (61).

(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة (162).

(5) لطائف المعارف (ص: 290).

عليه الصلاة والسلام- أنه علم عائشة -رضي الله عنها- هذا الدعاء: ((اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني))⁽¹⁾.

وزيادة لفضة: (كريم): (اللهم إنك عفو كريم) لا تثبت في هذا الحديث⁽²⁾.

وعموماً: ما أحوجنا إلى (عفو الله سبحانه) وهو: "سؤال الله -عز وجل- التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه، وعدم المؤاخذه على التقصير، والسلامة من (الفتن المضلة = الشبهات والشهوات)"..، وبه نشهد -كذلك- (مشهد الافتقار إليه تعالى)!..، و(مشهد حسن الظن به -جل وعلا-)!..

قال العلامة القرطبي -رحمه الله-: "العفو: عفو الله -عز وجل- عن خلقه، وقد يكون بعد العقوبة وقبلها، بخلاف الغفران، فإنه لا يكون معه عقوبة ألبتة"⁽³⁾.

يا رب عبدك قد أتاك وقد أساء وقد هفا
يكفيك منه حياؤه من سوء ما قد أسلفا
حمل الذنوب على الذنوب الموبقات وأسرفا
رب اعف عنه فلأنت أولى من عفا

واعلم -عفا الله عني وعنك- أن "السعيد من ذل لله، وسأل العافية، فإنه لا يوهب العافية على الإطلاق؛ إذ لا بد من البلاء، ولا يزال العاقل يسأل العافية لتغلب على جمهور أحواله، فيقرب الصبر على يسير البلاء"⁽⁴⁾.

(1) السلسلة الصحيحة (3337).

(2) تصحيح الدعاء (ص: 506).

(3) الجامع لأحكام القرآن (797/1).

(4) صيد الخاطر لابن الجوزي -رحمه الله- (ص: 275).

**رسائل رمضانية (22)..

من المقاصد (التبعية)! لصيام وقيام شهر رمضان: تحديد الشعور بالصلة بالأمة = (شهود مشهد الاعتزاز بالأمة المحمدية)!!...، ذلك أن المسلم يصوم ويصلي في غير أيام رمضان، لكن فعل ذلك في هذا الشهر المبارك مختلف من جهة استصحاب كل واحد منا أن عموم أهل الإسلام معه في ذلك (!!)..

وتلمح -يا رعاك الله- هذا المعنى في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام} ⁽¹⁾، وفي قوله -عليه الصلاة والسلام- كما في الصحيحين: ((صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته..)) ⁽²⁾؛ حيث النداء في الآية لـ(عامة أهل الإيمان)!!، كما وجه الخطاب في الحديث لـ(عموم المسلمين)!!..

واعلم -علمني الله وإياك- أن اعتزازك بانتمائك لأمتك منطلقه: (الاعتزاز بالإيمان بالله تعالى)؟!..، قال تعالى: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} ⁽³⁾..، و "من اعتز بذی العز فذو العز له عز" ..

فالعزة بيد الله تعالى وحده؛ يعز من يشاء، ويذل من يشاء، قال تعالى: {الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا} ⁽⁴⁾..، ولذا من أسمائه -جل وعلا-: "العزیز" ..

فله سبحانه العزة الكاملة المطلقة: (عزة القوة) ..، و(عزة الامتناع) ..، و(عزة القهر والغلبة) ..

وعليه فاعتزازك -عبد الله- بأمتك بحسب قوة صلتك بربك تبارك وتعالى = (شهود مشهد العزة: حالة مانعة للإنسان أن يغلب)؟!..، فالعزة والإيمان صنوان لا يفترقان..

(1) سورة البقرة: الآية (183).

(2) صحيح البخاري (1909).

(3) سورة آل عمران: الآية (139).

(4) سورة النساء: الآية (139).

وكما قال عمر - رضي الله عنه -: "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به؛ أذلنا الله"⁽¹⁾.

نعم؛ العزة عزتان: (معنوية) و(مادية)، لكن الأولى هي الأصل = (التقوى)، والثانية - بشرطه - تابعة لها - فتنه -!!، فـ "من لم تعزه التقوى فلا عزة له"!!..، و"ليست العزة في حسن البزة"!!..

قال إبراهيم بن شيان - رحمه الله -: "الشرف في التواضع، و(العز في التقوى)!"، والحرية في القناعة"⁽²⁾.

فللعبد "من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظ من العلو والعزة، ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان علما وعملا، ظاهرا وباطنا"⁽³⁾.

فاحذر - يا رعاك الله - أن تسكن في نفسك (بذرة الذلة والمهانة)!!..، فتمنع من غرس (بذرة العزة والشهامة = الفاعلية السنية؛ لا مجرد الانفعال وردود الأفعال الخلفية التي ألبست لباس الوعي، والسعي بنظرة سطحية)!!..

قال العلامة ابن باديس - رحمه الله -: "الجاهل يمكن أن تعلمه، والجاني يمكن أن تهذبه، ولكن الدليل الذي نشأ على الذل؛ يعسر أن تغرس في نفسه الدليلة المهينة عزة وإباء وشهامة تلحقه بالرجال"⁽⁴⁾.

وافهم - يا رعاك الله - أنه بحسب تنكر المرء للنهج الأثري، وتنكبه لطريقه، وعدم يقينه فيه وبه، يعاقب بالذلة والهزيمة النفسية والواقعية، و(قد!) لا يشعر، فلا تغتر بالمظاهر..، فالعبرة بالحقائق..، فإياك أن تكابر..، ومن يكابر.. والله المستعان..، وعليه التكالان..

(1) الصحيحة (117/1).

(2) المدارج (343/2).

(3) إغاثة اللهفان للإمام ابن القيم - رحمه الله - (926/2).

(4) الآثار (64/4).

****رسائل رمضانية (23)..**

سبق معنا أن صيام فهار رمضان وقيام ليليه يجدد في النفس الشعور بالانتساب للأمة المحمدية.. = (تحقيق مقصد من المقاصد التبعية لهذا الشهر المبارك)!!.. بسبب شهود مشهد الاجتماع مع عموم المسلمين في ذلك وإن اختلفت أجناسهم، وتباعدت أقطارهم(!)..، مما يورث = (الاعتزاز بالانتساب لأمة الإسلام)!!..

والالتفات إلى هذا المعنى الرائق والفائق من المهمات خاصة في زمن الضعف والاستضعاف..، لكن بشرط (الصدق = صدق الانتماء للأمة)؟!..، الذي هو من "مقومات عزة المسلمين"!!..، هذا الصدق الذي أساسه: "الصدق مع الله تعالى" فـ(من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل)⁽¹⁾.

قال تعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون} ⁽²⁾..

فما أخرجنا إلى (مقام الصدق) علما وعملا واعتقادا؛ خصوصا ونحن في أزمنة المحن، وأيام الإحن، فـ"صاحب الصدق مع الله تعالى لا تضره الفتن"⁽³⁾.

فالله الله في (صدق الانتماء) فبه يهون الابتلاء..، ويخفف هجير المحنة وألم البلاء..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- عن مقام الصدق هو: "الطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجهه باطلا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال ومحك الأحوال.." ⁽⁴⁾.

(1) المدارج (279/2).

(2) سورة الزمر: الآية (33).

(3) الفتح للحافظ -رحمه الله- (483/6).

(4) المدارج (268/2).

واعلم -يا رعاك الله- أن (صدق الانتماء للأمة المصطفوية) يتم بتحقيق مقام الصدق من جميع جهاته وهي:

- (مدخل الصدق ومخرجه) بأن تكون في إقدامك وإحجامك فيما يتعلق بالأمة وفق "العلم الأثري = السلطان النصير" !!!..، قال تعالى: {وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا} ⁽¹⁾..

- و(لسان الصدق) بحفظ المنطق، وضبط حركة اللسان فـ"رب حرف أدى إلى حتف"..، قال تعالى: {واجعل لي لسان صدق في الآخرين} ⁽²⁾...، و"القلم أحد اللسانين"!!..

- و(قدم الصدق) بأن تقدم ما فيه الصلاح والإصلاح -حالا ومآلا- وفق العلم والفهم، وبمبعدة عن الجهل والوهم..، قال تعالى: {وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم} ⁽³⁾..

والله المستعان..

(1) سورة الإسراء: الآية (80).

(2) سورة الشعراء: الآية (84).

(3) سورة يونس: الآية (2).

****رسائل رمضانية (24)..**

مما (يتجدد) في شهر رمضان: الكلام عن شعور النفوس بقوة انتمائها إلى الأمة المحمدية(!).. وهو مهم غاية.. وشرطه كما قررناه سلفاً: (الصدق فيه) من جميع جهاته(!).. ويتبدى هذا في: "صدق الانتماء إلى هوية واضحة ثابتة!"، وليست إلا (الهوية الإسلامية = الماهية الإسلامية التي يتميز بها أهل الإسلام)!!.. وهي (تستغني) تماماً عن أي لقاح أجنبي عنها.. كما (تستعلي) مطلقاً على أن تحتاج إلى لقاح أجنبي يخصبها..

فما أخرجنا إلى شهود هذا المشهد ونحن نعيش -عموماً (!)- ما يمكن أن يصطلح عليه بـ(أزمة الهوية)!!.. و((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق..))⁽¹⁾ فتأمل ولا تتعجل..

وحتى نرتفع عن (حضيض الهاوية) = التخبط والتنقل على موائد الشرق والغرب(!).. إلى (علو الهوية) = التمسك بدين الإسلام وفق فهم السلف الكرام والاعتزاز بمقوماته(!).. ينبغي استثمار شعور الانتماء لهذه الأمة ونحن في شهر رمضان، لتقوية الصلة بأركان الهوية الإسلامية المتمثلة في:

- (العقيدة الصحيحة وما يتبعها من أخلاق حسنة وعمل صالح)..
 - (الاعتزاز باللسان العربي)..
 - (اعتبار التاريخ الإسلامي وما يتبع ذلك)..
 ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال -عليه الصلاة والسلام-:
 ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))⁽²⁾..
 فقله -عليه الصلاة والسلام-: (إيماناً)! شهود لـ(ركن العقيدة) من الهوية الإسلامية، وهو الركن الأعظم = (الأصل الأصيل)!!.. وهو صبغة التوحيد والإيمان.. قال تعالى:

(1) صحيح البخاري (7311).

(2) صحيح البخاري (38).

{صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون} ⁽¹⁾..، وقال تعالى: {لكم دينكم ولي دين} ⁽²⁾..

ولا يخفى أن القرآن العظيم نزل في شهر رمضان، و(لسانه عربي)! وفي هذا شهود لـ(ركن الاعتزاز باللسان العربي) من الهوية الإسلامية، وهو (مفتاح الهوية)!..، "فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله" ⁽³⁾.

قال إمام البيان مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله-: "ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار" ⁽⁴⁾.

ومعلوم -أيضا- أن شهر رمضان (شهر الانتصارات والفتوحات الإسلامية)!!، وفي هذا شهود لـ(ركن اعتبار التاريخ الإسلامي) من الهوية الإسلامية، وهو (مرآة للاستبصار، ومحل للاقتداء والاتساء والاعتبار)!..، فلا بد -إذن- من استعراض التاريخ الإسلامي في عهد القرون الفضلى -بشرطه-..، لننظر كيف قام شأن أهل الإسلام على تقوى..

قال ابن الأثير -رحمه الله- عن علم التاريخ: ".. ومن رزقه الله طبعاً سليماً، وهده صراطاً مستقيماً: علم أن فوائده كثيرة، ومنافعه الدنيوية والأخروية جمّة غزيرة" ⁽⁵⁾.

فالله الله في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتقويتها في النفوس..، والأمر بها..، والنهي عن كل ما يضادها..، {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} ⁽⁶⁾..

(1) سورة البقرة: الآية (138).

(2) سورة الكافرون: الآية (6).

(3) الاقتضاء (ص: 203) للإمام ابن تيمية -رحمه الله-.

(4) وحي القلم (33/3).

(5) الكامل في التاريخ (8/1).

(6) سورة آل عمران: الآية (110).

****رسائل رمضانية (25)****

اعلم -رحمك الله- أن مما يستوجبه (تجدد) شعور النفوس بالانتماء للأمة المصطفوية في شهر رمضان خاصة -كما بيناه-: (الاهتمام بقضايا المسلمين وأمورهم)!! وفق المفاهيم الشرعية..، والطريقة السلفية..، مع التنبيه أن بعضهم (!) يحصر -اعتقاداً أو حالاً (!)- هذا الموضوع فقط؛ في مثل "نصرة المستضعفين في سوريا"!!..

نعم؛ لا ريب أن هذا المثال يدرج في (قضايا المسلمين وأمورهم)، لكن (الحقيقة الشرعية)!! لهذه القضايا.. أوسع.. فهي: "كل ما يتعلق بمصلحة المسلمين العامة..، وهذه المصلحة ليست على (رتبة واحدة)!!.. ففيها الضروري والحاجي..، ومنها ما هو أصل..، ومنها ما هو فرع..، ومنها ما هو من باب البر والإحسان.. وهكذا دواليك"!!..

ومن هذه القضايا الكبرى -بل هي الكبرى منها- التي تتجلى في شهر رمضان كمظهر من مظاهره: (الاهتمام بالعقيدة الصحيحة علماً ودعوة..، وعملاً وتزكية..، وكشفاً ومجادلة..)!!..، وهذه القضية هي: "أصل الملة الحمدية"!!..

فنهضة ودعوة.. بلا أسس عقدية صحيحة تبنى عليها وتستصحب... {كسراب بقية}!!⁽¹⁾..

وإصلاح ونصرة.. بلا أصول إيمانية سديدة يعمل بها وينظر في الأمور من خلالها.. كـ(جسد بلا روح)!!..

فالغاية من صيام رمضان: تحقيق التقوى..، {لعلكم تتقون}⁽²⁾..، وهذا من مقتضيات (العقيدة والتوحيد)!!..

وفي شهر رمضان نزل القرآن الذي هو المصدر الأساس -مع بيان سنة النبي العدنان - عليه الصلاة والسلام- لـ(عقيدة المسلمين)!!..

(1) طرف من قوله تعالى: {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب} سورة النور: الآية (39).

(2) سورة البقرة: الآية (183).

وشهر رمضان شهر الصيام الذي هو ركن من أركان الإسلام..، حيث (إنكار) إيجاب صومه علينا يضاد (صحة الإيمان)!!..

وشهر رمضان شهر (الإقبال) على الله بالطاعة والتضرع والدعاء..، وهذه القربات تصرف لله -جل وعلا- وحده..، فيشهد معها العبد (وحدانية الله تعالى)!!..

وشهر رمضان شهر الانتصارات والفتوحات الإسلامية..، وكل هذا من أجل إعلاء (كلمة التوحيد = لا إله إلا الله)!!..

فالله الله في (التوحيد والعقيدة)؟!..، "فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان، وأصل الفساد: الشرك والكفر"⁽¹⁾.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله-: "نحن لا نهمل قضايا المسلمين، بل نهتم بها، ونناصرهم، ونحاول كف الأذى عنهم بكل وسيلة، وليس من السهل علينا أن المسلمين يقتلون ويشردون، ولكن ليس الاهتمام بقضايا المسلمين أننا نبكي ونتباكى، وغملاً الدنيا بالكلام والكتابة، والصياح والعيول، فإن هذا لا يجدي شيئاً.

لكن العلاج الصحيح لقضايا المسلمين: أن نبحث (أولاً) عن الأسباب التي أوجبت هذه العقوبات التي حلت بالمسلمين، وسلطت عليهم عدوهم..، وأهم هذه الأسباب.. هو: (إهمالهم للتوحيد)!!!"⁽²⁾.

والله المستعان..، وعليه التكالان..

(1) الفتاوى للإمام ابن تيمية -رحمه الله- (163/18).

(2) دروس من القرآن (ص: 8 - 11).

****رسائل رمضانية (26)..**

تجدد الشعور بالانتماء لأمة محمد -عليه الصلاة والسلام- في شهر رمضان -خاصة- نشهد به "مشهد الأخوة في الله تعالى"..⁽¹⁾ {إنما المؤمنون إخوة}..⁽¹⁾

وهذا يستدعي: (نصرة المستضعفين من المسلمين)!... ففي الحديث الصحيح عند البخاري -رحمه الله- من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: قال -عليه الصلاة والسلام-: "(أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، فقال له رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟، قال: ((تجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره))⁽²⁾".

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم على القوم لم أنصر أخي حين يُظلم

واعلم -يا رعاك الله- أن نصرة المستضعفين من المسلمين صورة من صور (تعظيم الحرمات)!..

قال تعالى: {ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه}⁽³⁾..⁽³⁾

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في بيان معنى الحرمات: "هي جمع حُرمة، وهي ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن؛ فتعظيمها: توفيتها حقها، وحفظها من الإضاعة"⁽⁴⁾..⁽⁴⁾

فالله الله في تعظيم حرمات المسلمين..، وجبر كسرهم وضعفهم..، وحفظ دمائهم وأعراضهم..، ونصرتهم ومواساتهم..، فهذا يشهد العبد (مشهد الغيرة)!..!!، فـ"أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له"⁽⁵⁾..⁽⁵⁾

(1) سورة الحجرات: الآية (10).

(2) صحيح البخاري (2444).

(3) سورة الحج: الآية (30).

(4) المدارج (73/2).

(5) الجواب الكافي للإمام ابن القيم -رحمه الله- (ص: 68).

وجماع ما يستطيع.. -ولا عذر في عدم فعله-: (اعتقاد) نصرتهم وجمعية القلب على ذلك،
والتوجه لأجلهم، والدعاء لهم (!)..، فـ"الميسور لا يسقط بالمعسور"!!..

وتنبه أن (نصرة المستضعفين)؟! يجب أن تقوم على دعامي:

- "الوعي" بالعلم والفهم بعيدا عن الجهل والوهم..

- و"السعي" بالاستبصار والتؤدة بعيدا عن السطحية والعجلة..

مع إناطة الأمر بـ:

- (المسالك الشرعية)!!..

- و(الرتب المرعية)!!..

- و(استصحاب الغائية)!!..

- و(مراعاة الأولوية)!!..

- و(اعتبار الإمكانية)!!..

ومما يقوي نصرة المستضعفين في شهر رمضان -خصوصا-، أن هذا الشهر هو (شهر
الرحمة)!!.. فعند مسلم -رحمه الله- وغيره من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:
"قال -عليه الصلاة والسلام-: ((إذا كان رمضان فتحت "أبواب الرحمة"!!...))⁽¹⁾
الحديث.

فتحيا القلوب بالرحمة في شهر الرحمة..، وتتبدى مظهرًا ربانيا من المسلمين في صور متنوعة
من أعظمها: (نصرة إخوانهم المستضعفين)!!..!!..

قال إمام البيان مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله-: "من قواعد النفس أن الرحمة تنشأ
عن الألم؛ وهذا بعض السر الاجتماعي العظيم في (الصوم)، إذ يبالغ أشد المبالغة، ويدقق

(1) صحيح مسلم (1079).

كل التدقيق، في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدة آخرها آخر الطاقة، فهذه طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس..⁽¹⁾.

والله المستعان..، وعليه التكلان..

(1) وحي القلم (59/2 - 69).

****رسائل رمضانية (27)****

ما نراه من تعلق المسلمين بشهر رمضان وإقبالهم فيه -عامة- على طاعة الرحمن مع اختلاف أجناسهم.. وتباين ألوانهم.. وتباين ديارهم.. وتفاوت أعمارهم.. يدل على لفت النظر إلى مقصد عظيم من مقاصد الشريعة ألا وهو (الاجتماع)!!.. فـ"من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين.. وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة"⁽¹⁾.

لكن (مفهوم الاجتماع) عند الكثيرين -بل وعند بعض النخبة(!!) - قد شابه ما شابه من "المظهرية الجوفاء"!!..، حيث تجدد الحرص على مجرد الدعوة إلى الاجتماع دون مراعاة (ماهيته)؟!..، والنتيجة: اجتماع الأشباح وتناثر الأرواح(!!)..، فحصل من جرائه -خاصة في الميدان الدعوي(!-) -: تصدع داخلي تحت لباس الدين.. وتبدى الترنح بين ضحيج الشعارات، واضطراب الخطوات..، إلا من رحم رب الأرض والسموات..

فمن الضروري -إذن- الوقوف (عند/مع) الحقيقة في هذا الباب المتمثلة في (هَج الاجتماع)!!.. الذي نشهد به "مشهد الاعتصام بجبل الله تعالى"، مصداقا لقوله -جل وعلا-: {واعتصموا بجبل الله جميعا ولا تفرقوا}⁽²⁾..

قال العلامة أبو السعود -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: {ولا تفرقوا}: "لا تحدثوا ما يوجب التفرق، ويزيل الألفة"⁽³⁾.

وعليه؛ فمما هو معيب في مقامنا هذا: الاستغراق في (الحكم التكليفي للاجتماع = الإيجاب)!!.. مع أنه ليس محلا للنزاع..، وبالمقابل: (إهمال الحكم الوضعي له = مراعاة الحقوق وزوال الموانع).. مع أنه الأساس في الموضوع..، فالأمر بالاجتماع من جملة الأوامر التي لا تتحقق فينا -على وفق مراد الله تعالى(!-) - إلا بتوفير الشروط، والحرص على إزالة الموانع..، فـ"الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به"!!..

(1) الفتاوى للإمام ابن تيمية -رحمه الله- (51/28).

(2) سورة آل عمران: الآية (3).

(3) إرشاد العقل السليم (526/1).

قال الشيخ رشيد رضا -رحمه الله- في معرض كلامه عن الاجتماع: "لا أدعوكم إلى اجتماع مبهم أو خيالي، ولا إلى تعاون مطلق أو إجمالي، بل أدعوكم إلى الاجتماع لإزالة (موانع الاجتماع)!!"⁽¹⁾.

فالحذر الحذر من (صناعة الغشائية)!! ولو على صعيد الخطاب، فإن التنادي للاجتماع بمبعدة عن (هجمه وحقيقته = شروط الاجتماع، والحرص على إبعاد موانعه) التي يقوم عليها شرعا: "نزعة حركية"!!، و"لوثة حزبية"!!..

فالله الله في شهود (مشهد الاعتصام بحبل الله)!!.. فـ"الاعتصام بـ(حبل الله) يحمي من البدعة وآفات العمل"⁽²⁾.

فإذا كان شهودنا لصيام رمضان وفق شروط وزوال موانع..، فيجب -أيضا- أن نعتبر ذلك -دون مصانعة ولا مجاملة (!!) - عند شهودنا لأمر الاجتماع الذي نلمسه -معنا وحسا- في هذا الشهر المبارك..

قال الأديب مصطفى لطفى المنفلوطي -رحمه الله-: "(المصانعة والمجاملة) في الدين ليست سبيل الاتحاد والاتفاق -كما يظن الذين يصانعون ويجاملون-، وما هي إلا الخداع والغش، وما علمنا أن أمة أسعدها الغش أو رفعها الخداع"⁽³⁾..

والله المستعان.. وعليه التكلان..

(1) مقالات الشيخ رشيد الرضا السياسية (687/2).

(2) المدارج للإمام ابن القيم -رحمه الله- (53/2).

(3) النظرات (ص: 68 - 69).

****رسائل رمضانية (28)****

لا يخفى أن شهر رمضان شهر (التطهير)!!، و(التنوير)!!، و(التغيير)!!..

- أما "التطهير" فمن المعاصي والذنوب..

- وأما "التنوير" فبطاعة علام الغيوب..

والنتيجة:

- "التغيير" إلى ما يرضاه اللطيف الخبير..

وعليه؛ فإن (شهر رمضان) محطة لتعلم وإحياء "الأصول السنية التي يقوم عليها منهج استصلاح المجتمعات لاستئناف الحياة الإسلامية!" = (شهود مشهد التصفية والتربية)!!..

واعتبر في خصوصه بكون شهر رمضان شهر نزول القرآن..، فأول ما نزل من الآيات القرآنية: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}⁽¹⁾، و{اقرأ} تقرير (للتصفية)!!، و{ربك} تدليل على (التربية)!!، فافهم حقيقة الرسالة المصطفوية(!!)..

فالتطهير: (تصفية)!!.. بالعلم رواية ودراية..

والتنوير: (تربية)!!.. بالدعوة قولية وفعلية..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد لكمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي"⁽²⁾.

فلا بد من تصفية الإسلام مما علق به من محدثات وعوائد وتحريفات في (سائر المجالات)!!، وكل مجال بحسب منزلته ومقداره وحدوده المرعية..، وبالطرائق الشرعية..، و(تربية

(1) سورة العلق: الآية (1).

(2) مفتاح دار السعادة (1/154).

الناس والأجيال المسلمة -عموما- على هذا الإسلام المصفى؛ وفق المسالك الأثرية (تحببا وترغيبا وترهيبا)!!...، {فاتقوا الله ما استطعتم} (1) ..

مع التنبه إلى ضرورة قلب النظر عند عملية الإصلاح في أزمنته الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل.

فننظر إلى الماضي نظر (عبرة وتوبة)!!.. حتى لا نبتلئ بـ(الكسل والدعة والخمول)!!..

وننظر في الحاضر نظر (عمل واجتهاد)!!.. حتى لا نبتلئ بـ(الغفلة والسكر)!!..

وننظر إلى المستقبل نظر (أمل ورجاء)!!.. حتى لا نبتلئ بـ(اليأس والهزيمة النفسية)!!..

واعلم -يا رعاك الله- أن الأساس الذي تنطلق منه عملية الإصلاح -عموما- تصفية وتربية: (إصلاح الأنفس = شهود مشهد تغيير النفس وهو مشهد مشهود -بشرطه- في شهر رمضان -فتأمل-)!!.. مصدقا لقوله تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} (2) ..

قال العلامة ابن باديس -رحمه الله-: "فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس، إما مباشرة وإما بواسطة، فما من شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان إلا وهو راجع عليها بالصلاح، وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو عائد عليها بالفساد، فتكميل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب، وإرسال الرسل، وشرع الشرائع" (3).

والله المستعان..

(1) سورة التغابن: الآية (16).

(2) سورة الرعد: الآية (11).

(3) الآثار (232/1-233).

****رسائل رمضانية (29)..**

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: ((فرض رسول الله -عليه الصلاة والسلام- زكاة الفطر (طهرة للصائم)! من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات))⁽¹⁾.

الشاهد -هنا- من الحديث قوله -عليه الصلاة والسلام- في حق زكاة الفطر: ((طهرة للصائم))!..، أي: تطهره من الآفات والنقائص التي حصلت في صومه..

قال وكيع بن الجراح -رحمه الله-: "زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدي السهو للصلاة، تجبر نقصان الصوم كما يجبر السجود نقصان الصلاة"⁽²⁾.

ومثله في المعنى: صيام ستة أيام من شوال - (نافلة) - بعد رمضان؛ لجبر النقص والخلل الذي حصل في شهر العفو والغفران..

فصيام ستة أيام من شوال -إذن- هو بـ (مثابة)! النافلة البعدية لصيام شهر رمضان، ولذا قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: ((من صام رمضان ثم (أتبعه) ستاً من شوال كان كصيام الدهر))⁽³⁾..

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: "صيام (شوال) وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة؛ كما ورد ذلك عن النبي -عليه الصلاة والسلام- من وجوه متعددة، وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل فيحتاج إلى ما يجبره ويكمّله من الأعمال.." ⁽⁴⁾.

(1) صحيح سنن أبي داود (1437).

(2) تاريخ بغداد (576/11).

(3) صحيح مسلم (1164).

(4) لطائف المعارف (ص: 311).

فاعلم -يا رعاك الله- أن في هذه الأسرار التزكوية شهود مشهود من (مشاهد الحياء من الله تعالى = حياء التقصير)!!..، حيث يستحي العبد من ربه -تبارك وتعالى- أنه قدم له طاعة وقربة، وفيها ما فيها من الخلل والنقص، وهذا مقام مهم شهوده من العبد؛ لأنه حق من (حقوق الطاعة)! فتذكر..

والحياء -عبد الله- يتولد من شيئين:

- (رؤية الآلاء): وحقيقته -هنا- شهود مشهود توفيق الله لك لصيام شهر رمضان..
 - (رؤية التقصير): وحقيقته -هنا- شهود مشهود الخلل والنقص عند صوم رمضان..
- ولأجله شرع الاستغفار عَقِيبَ الأعمال الصالحة = (الاستغفار من النقص والخلل الذي حصل في القربات)!!..

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: "والاستغفار هو خاتمة الأعمال الصالحة..، وسبب هذا أن العباد مقصرون عن القيام بحقوق الله كما ينبغي، وأدائها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، وإنما يؤدونها على قدر ما يطيقونه، فالعارف يعرف أن قدر الحق أعلى وأجل من ذلك؛ فيستحي من عمله ويستغفر من تقصيره فيه، كما يستغفر غيره من ذنوبه وغفلاته، وكلما كان الشخص بالله أعرف، كان له أخوف، وبرؤية تقصيره أبصر"⁽¹⁾.

فالله الله في شهودك أيها المسلم مشهود (حياء التقصير)؛ خاصة ونحن في نهاية شهر رمضان..، حتى لا تنظر إلى أعمالك نظر الكمال والتمام..، = فتتنظر إلى نفسك نظر التعظيم والتبجيل..، فتكون بذلك ممن ابتلي بأفة العجب فـ(مهلك).. -عياداً بالله من ذلك-..

فآفة العبد رضاه عن نفسه؛ ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها -عُجْباً بها- فقد أهلكها، ومن لم يهتم نفسه وأعماله على دوام الأوقات فهو (مغرور)!!.. والله المستعان..، وعليه التكلان..

(1) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (4/249).

**رسائل رمضانية (30)..

مع نهاية شهر رمضان تعيش نفوس أهل الخير بين (ألم الفراق)!!..، و(لوعة الاشتياق)!!..

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: "قلوب المتقين إلى هذا الشهر تَحِنُّ، وَمِنْ أَلَمِ فراقه تَنِينٌ"⁽¹⁾.

لهفي على شهر الصيام الفاضل ولّي وأصبح كالخيال الحائل
ولّي سريعا وانقضى فكأنه أحلام نوم أو كضوء زائل
فانظر إلى أيامه كيف انقضت في الحين كالبرق السريع العاجل

فـ"كيف لا تجري للمؤمن على فراقه عليه دموع وهو لا يدري؛ هل بقي له في عمره إليه رجوع؟"!!"⁽²⁾.

وبهذا المعنى التزكوي ونحن في ختام الشهر نشهد (مشهد تعلق القلب بالخاتمة = بم سيختم لنا عند خروجنا من هذه الدار)!!..، وقد قيل: "إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟"..

ورحمة الله على سفيان الثوري حيث بكى ليلة إلى الصباح، فلما أصبح قيل له: "كل هذا خوفا من الذنوب ؟ فأخذ تبنة من الأرض وقال: الذنوب أهون من هذا، وإنما أبكي من خوف الخاتمة"!!..

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- معلقا: "وهذا من أعظم الفقه، أن يخاف الرجل أن تخذله ذنوبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى"⁽³⁾.

ومما يعين على شهود مشهد الخاتمة عند ختام شهر رمضان: (مشهد الشبه بين يوم العيد ويوم القيامة)!!..

(1) لطائف المعارف (ص: 304).

(2) لطائف المعارف (ص: 304).

(3) الداء والدواء (ص: 390).

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: " رأيت الناس يوم العيد؛ فشبهت الحال بالقيامة، فإنهم لما انتبهوا من نومهم خرجوا إلى عيدهم كخروج الموتى من قبورهم إلى حشرهم، فمنهم من زينته الغاية، ومركبه النهاية، ومنهم المتوسط، ومنهم المزدول؛ وعلى هذا أحوال الناس يوم القيامة" (1).

ومشهد الخاتمة هذا يستدعي من العبد شهود (مشهد الثبات على الطاعات) حتى بعد شهر البركات ليختم له - بفضل من رب الأرض والسموات - في هذه الحياة بالخيرات (!)..، فلا تغفل - وفقني الله وإياك - عن الصيام والقيام..، ولا تتجاهل الصدقة وصلة الأرحام..، ولا تهجر ذكر الرحمان..

قال الحسن البصري - رحمه الله - "إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت، ثم قرأ: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} (2)" (3).

ومن نفيس التقريرات عند هذا الحرف من الكلام..، ما جادت به قريحة شيخ الإسلام - رحمه الله - حيث قال في سياق الحديث عن مسألة تخص الإصرار على المعاصي: " .. كمن يعزم على ترك المعاصي في شهر رمضان دون غيره، فليس هذا بتائب (مطلقاً)!!.. ولكنه تارك للفعل في شهر رمضان، ويثاب إذا كان ذلك الترك لله، وتعظيم شعائر الله، واجتناب محارمه في ذلك الوقت، ولكنه ليس من التائبين الذين يغفر لهم بالتوبة مغفرة (مطلقة)!!، ولا هو مصر (مطلقاً)!!" (4).

(1) صيد الخاطر (ص: 592).

(2) سورة الحجر: الآية (99).

(3) الفتاوي للإمام ابن تيمية - رحمه الله - (418/11).

(4) الفتاوي (743/10).

رمضان لا أدري أعمري ينقضي من قادم الأيام أم نتقابل
فالقلب غاية سَعْدَه سيعيشها والعين في لُقيَاك سوف تُكحَّل
تبكي القلوب على وداعك حُرْقَة كيف العيون إذا رحلت ستفعل
فعساك ربي قد قبلت صيامنا وعساك كل قيامنا تتقبل

وبهذا المرقوم (خاتمة هذه الرسائل الرمضانية ونهايتها)!!، فأسأل الله لي ولكم القبول
والهدى، وأن يختم لنا ولكم بالحسنى، وأن يجعلنا عنده بالحل الأسنى.

خاتمة

لعلك أيها المسلم -بعد هذه الجولة مع هذه الرسائل الرمضانية- أصبحت ذا بصيرة بحقيقة الطاعة في شهر رمضان خاصة..، وكيف تحيا بالعبادة فيه لله في ظل المشاهد الزكوية..، والمنازل السنية..، والأسرار الزكية..

فاللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

5	تقديم فضيلة الشيخ أبي زيد حمد العتيبي - حفظه الله العلي -
7	تمهيد
9	رسائل رمضانية (1) ..
11	رسائل رمضانية (2) ..
13	رسائل رمضانية (3) ..
15	رسائل رمضانية (4) ..
17	رسائل رمضانية (5) ..
19	رسائل رمضانية (6) ..
21	رسائل رمضانية (7) ..
23	رسائل رمضانية (8) ..
25	رسائل رمضانية (9) ..
27	رسائل رمضانية (10) ..
29	رسائل رمضانية (11) ..
31	رسائل رمضانية (12) ..
33	رسائل رمضانية (13) ..
35	رسائل رمضانية (14) ..
37	رسائل رمضانية (15) ..
39	رسائل رمضانية (16) ..
41	رسائل رمضانية (17) ..
43	رسائل رمضانية (18) ..
45	رسائل رمضانية (19) ..
47	رسائل رمضانية (20) ..
49	رسائل رمضانية (21) ..
51	رسائل رمضانية (22) ..

53 ..	رسائل رمضانية (23) ..
55 ..	رسائل رمضانية (24) ..
57 ..	رسائل رمضانية (25) ..
59 ..	رسائل رمضانية (26) ..
62 ..	رسائل رمضانية (27) ..
64 ..	رسائل رمضانية (28) ..
66 ..	رسائل رمضانية (29) ..
68 ..	رسائل رمضانية (30) ..
71 ..	خاتمة ..
72 ..	الفهرس ..